بيت روتشيلد

ذكرنا تاريخ هذا البيت المالي الشهير غير مرة وقد وقفنا الآن على أمور نتعلق به لم نذكرها قبلاً فادمجناها في السطور التالية لما فيها من الفكاهة والفائدة

تُقدَّر ثروة بيت روتشيلد الآن في انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا باربع مئة مليون جنيه اي لو شاء لاشترى القطر المصري كلهُ اطيانهُ و بيوتهُ وكل ما فيهِ . واذا فرضنا ان ريعهُ يساوي اربعة في المئة فقط يبلغ دخلهُ السنوي ١٦ مليونًا من الجنيهات اي قدر « ايرادات» الحكومة المصرية . ولا يدانيهِ في الثروة الاَّ بيت هرش وتبلغ ثروتهُ نحو مئة مليون جنيه اما بيوت بت و برناتو وودس وفردلند فتبلغ ثروتها كلها نحو مئتي مليون جنيه وكلها من بيوت الاسرائيليين . ويليها بيوت كثيرة مثل بيت ساسون روتشيلد الشرق و بيت سترن و بيت غولد سمد ومنتفيوري وكاسل وغيرهم من بيوت الاسرائيليين اصحاب الثروة الواسعة . فهل يصدق فيهم قول موسى الكليم انهم سيرجعون يغنى الام

وبيت روتشيلد يشتغل بكل ما منهُ ربح كالمتاجر والمعامل وسكك الحديد . فلهُ معامل قطن في لنكشير ومعامل حديد في شفيلد ومزارع في جامايكا ومراعٍ في البرازيل وسيبيريا ومحايك في الهند وفارس ومناجم في اسبانيا وافريقية ومخازن في كل عواصم اوربا . ولهُ مدن بكاملها في النمسا واملاك في كل المدن الكبيرة . هذا فوق ما لهُ من الديون على كثير من الممالك

ومما لا يخلو البحث فيهِ من فائدة هو كيف اجتمعت هذه الثروة الطائلة وكيف حُفظت حتى الآن وما هو المستقبل الذي يقدَّر لها

اما جمعها فكان اولهُ بالمضاربة المقرونة بالتعقُّل والروية فان مبدأ الثروة كان في ناثان مير روتشيلد وقد دلَّهُ عقلهُ على ان الفوز سيكون على بونابرت لا لهُ فاشترى السندات التي اصدرها دوق ولنتون وقتما كانت الحكومة الانكليزية عاجزة عن ايفائها واقرض الحكومة وحلفاءها الاموال لمحاربة بونابرت واشترى كثيراً من اوراقها بثمن بخس فعرَّض ثروتهُ كلها للضياع لو فاز نبوليون . ولا شبهة في انهُ هو واخوتهُ وسائر المتولين ادارة بيت روتشيلد ضاربوا مراراً كثيرة وقد خسروا خسائر فاحشة بالثورة الفرنسوية سنة ١٨٤٨ ولكن ربحهم كان دائمًا اكثر من خسارتهم لان العقل رائدهم ولانهم اقدموا على المضاربة كتجار لا كمضاربين . ولما مات ناثان مير سنة ١٨٣٦ قدرت ثروتهُ بثمانية عشر مليونًا من الجنيهات وهي مثل مئة مليون جنيه الآن

ولما كان ناثان رئيس البيت الانكليزي كان اخوهُ جمس في باريس رئيس البيت الفرنسوي وهو اول من بنى سكك الحديد في فرنسا وقد جمع ثروتهُ من ذلك ومن المتاجرة مع اميركا بالتبغ والقطن . وكانت سفن بيت رتشيلد تحمل البضائع من اميركا واليها لانهم كانوا وسطاء بين الزارع والصانع فقبضوا على تجارة الصادر والوارد فلما بطلت الوساطة وصار الصانع يشتري المواد من الزارع مباشرة ضعف شأن هذه التجارة وقل ربحها الى ان زالت فتركوها واخذوا بدلاً منها اسهماً وسندات في كثير من الشركات الاميركية ولا سيما شركات سكك الحديد . ويقال ان عندهم الآن من الاسهم والسندات الاميركية ما يساوي عشرين مليون جنيه . ولهم عدا ذلك اراضٍ في المدن الاميركية ولا سيما في نيويورك وقد جمعوا ايضاً ثروة طائلة بالسمسرة في عقد القروض الدولية فان ليونل بن ناثان عقد ١٨ قرضاً دولياً مجموعها اكثر من مئتي مليون جنيه فاذا فرضنا انهُ لم يكسب منها الاَّ السمسرة القانونية وهي ½ ٢ في المئة فربحهُ منها خمسة ملايين من الجنيهات ولكن الادلة متوفرة على ان ربحهُ منها كان اكثر من ذلك كثيراً في بعض الاحيان ولا يبعد ان يكون قد ربح منها عشرة ملايين او اكثر . وهو الذي قرض الحكومة الانكليزية اربعة ملايين من الجنيهات لتشتري اسهم ترعة السويس من اسمعيل باشا واخذ عليها فائدة وسمسرة

وظل بيت روتشيلد يعقد القروض للدول الى ان كانت سنة ١٨٤٨ حين خرجت فرنسا من ثورتها الاخيرة وكان على حكومتها ان تعقد قرضاً كبيراً جداً لتوفي ديونها السائرة وتقوم بنفقاتها وكان مرادها ان تفوض عقدهُ لبيت رتشيلد وبيت برير لكن خطر على بالها ان تقترض الاموال من الشعب الفرنسوي نفسهِ من غير وساطة احد فاجاب الشعب طلبها وكان ذلك مدعاة لربح الشعب الفرنسوي ولاعتماده على الاقتصاد حتى صار اغنى شعوب الارض . وقد اصبح دين الحكومة الفرنسوية الآن ١٣١٤ مليون جنيه واقساطهُ السنوية ٥١ مليون جنيه من فائدة واستهلاك وكل هذه الاموال تعود الى الشعب الفرنسوي . ولكن فرنسا عادت فرأت حاجتها الشديدة الى بيت رتشيلد في حربها مع المانيا فقد كان فيها حينئذٍ رئيس بيت رتشيلد الفونس بن جمس المار ذكرهُ وكان مثل عمهِ ناثان في سرعة الخاطر واقتحام المخاطر الاَّ انهُ كان عرضة للوعيد والتهديد

قيل زارهُ الشاعر هنرك هين ذات يوم فرآهُ جالساً عابساً والغيظ يتدفق من وجههِ فقال لهُ امريض انت فقال لست مريضاً ولكني مجنون . فقال هين لا اصدق انك مجنون حتى

اراك ترمي اموالك من هذه الكوة فقال النمسي اني مجنون لاني لا ارمي اموالي. قال ذلك واراه كتاباً من كتب الوعيد والتهديد التي كانت ترد عليه

ولما احتاجت فرنسا اليه على اثر حربها مع المانيا التمنته على دفع الغرامة الحربية عنها وهي خمسة آلاف مليون فرنك فاضطرت اسرة روتشيلد كلها ان تشتغل في تدبير هذا المال الطائل وبقي هو وكتّابه يشتغلون اشهراً متوالية نهاراً وليلاً

هذا من حيث جمع الثروة اما الاحتفاظ وهو في الغالب اصعب من جمعها فاستخدموا له واسطتين الاولى ان يتزوجوا بعضهم من بعض حتى لا يذهب شيء من ثروتهم الى غيرهم والذي لا يجد زوجة له من بنات اعمامه يبقى عزباً. ولم يخالفوا هذه القاعدة الا حيث كانت لهم فائدة كبيرة من مخالفتها كما في تزويج ابنة غستاف روتشيلد من السر ادورد ساسون وهو من كبار الماليين وفي تزويج ابنة مير روتشيلد من لورد روزبري وهو من كبار الوزراء

والواسطة الثانية تربية اولادهم وتدريبهم على اعمالهم حتى اذا مات الواحد منهم او انقطع عن العمل لسبب من الاسباب وجد من اولاده من يقوم مقامه فيستمر عمل البيت جارياً مجراه. وكانوا كلهم اهل عمل وجدّ اما الآن وقد كثرت ثروتهم جداً وانتظمت احوال الممالك والشركات حتى صارت الثروة تحفظ نفسها اذا كانت قروضاً للدول وسندات على الشركات فلم تعد الحال تدعو الى الاهتمام الشديد بحفظ المال. واذا كان دخل ثروتهم ١٦ مليون جنيه في السنة على اقل تقدير وانفقوا منها اربعة ملايين جنيه في السنة بقيت الثروة تزداد ازدياداً يفوق كل ما يحتمل ان يقع بها من الخسارة ولذلك انقطع بعضهم الى الاشتغال بالعلم والادب او الى الاكتفاء بغرس الحدائق وتربية الحيوانات ونحو ذلك من وسائل التسلي

ولبيت روتشيلد مقام اجتماعي رفيع في اوربا كلها فهم من اشراف النمسا وليونل بن ناثان روتشيلد اقنع الحكومة الانكليزية بالغاء الموانع التي تمنعها من توظيف اليهود وانتخب عضواً لمجلس النواب الانكليزي. ولما طُلب منه ان يتلو القسم المعتاد ابى لانه مخالف لمعتقده واضطر ان يعتزل فانتُخب ثانية وثالثة واخيراً رأت الحكومة ان تغير صورة القسم لكي لا تحرم البلاد خدمة امثاله فجعل عضواً في مجلس النواب وابيح لليهود ان ينتخبوا لعضوية ذلك المجلس. وزاد على ذلك انه فتح قصره في ضواحي لندن للولائم والحفلات وعاونه على ذلك اخواه انتوني وميير وهما اول من زهد في جمع المال من بيت روتشيلد فعكفا على تربية الجياد فاحرزت خيولهما قصب السبق في اعظم ميادين الانكليز

وتوفي ليونل سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ نثانيل ورقي الى مصاف اعيان الانكليز سنة ١٨٨٥ وهو الآن لورد روتشيلد رئيس هذا البيت

وبينما كان ليونل في انكلترا يقرع ابواب مجلس النواب كان جمس في فرنسا يتشيَّ سكك الحديد وامل في فرنكفورت بالمانيا وكارل في نابلي بايطاليا وسليمان في فينا بالنمسا وكلٌّ منهم ساعٍ في انماء ثروة هذا البيت وتعظيم سطوته وكانت الرئاسة الكبرى لليونل في

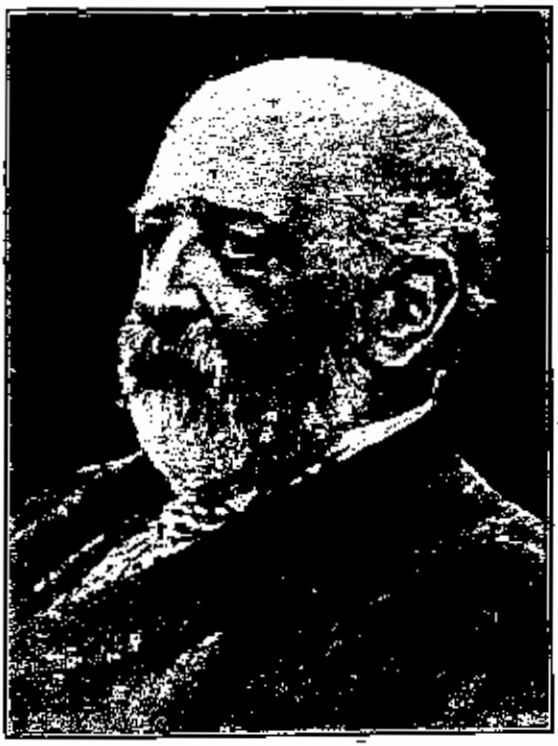

لورد روتشيلد

انكلترا فلما توفي خلفهُ الفونس في فرنسا فلما توفي خلفهُ البرت في فينا لكن مدة رئاسة البرت لم تطل لان احد ابنائهِ واسمهُ امسكار ساح في اميركا واحبَّ ابنة المانية المولد وخطبها ولما عاد اخبر اباهُ بذلك ويقال ان رجلاً عدوًّا لهُ ارسل صورة الابنة الى ابيهِ وهي بثياب الممثلات وكانت قد لبستها في تمثيل رواية بيتية فقال لهُ ابوهُ ان ابن روتشيلد لا يمكن ان يقترن بممثلة فحاول ان يقنع اباهُ ان هذا اللباس لبستهُ في تمثيل رواية بيتية . لكن ابوهُ اصرَّ على قولهِ

و بلغ الخبر الابنة فقضي عليها من الغم و بلغ المصاب ذلك فدخل غرفتهُ وانحر وكان ذلك في الخريف الماضي فاستولى الغم على ابيه الى ان انصدع فؤادهُ وتوفي في ١٠ فبراير الماضي فانتقلت رئاسة البيت الى لورد رتشيلد . والرئاسة في بيت رتشيلد مبنية على الكفاءة والاقدمية

قلنا ان رئيس بيت رتشيلد الآن هو لورد رتشيلد المقيم في لندن ولذلك فمركز اعمال هذا البيت الآن هناك ومقر اعمالهم في المدينة (الستي) التي هي مقر عالم الاموال . وهو بناء ساذج في شارع ضيق لا يدلُّ ظاهرهُ على شيء من عظمتهِ لكنهُ كعبة ملوك الارض يرسلون اليهِ سفراءهم لعقد القروض واستدانة الاموال . هناك اقام ناثان مير رتشيلد مؤسس هذا البيت ولا يزال اسمهُ على بابهِ N. M. Rothschild & Sons

والظاهر ان بيوتات الانكليز القديمة تباهي بهذه البساطة فترى البيت الذي اسوالهُ تحسب بالملايين ادارتهُ في بناء ساذج بعيد عن الشوارع العمومية وعن كل مظاهر الابهة والمجد مثال ذلك بيت بيرنج وهو من البنوك الكبيرة لا يكاد الانسان يرى صفيحة النحاس التي فيها اسم المحل عند بابهِ الخارجي

اذا دخلت بنك بيت رتشيلد تمر اولاً بساحة كبيرة وغرف فيها الكتبة الى ان تصل الى غرفة عالية السقف فيها ثلاث موائد او مكاتب وراء الوسطى منها التي امام الباب رجل ربعة قصير اللحية شائبها حاد البصر هو لورد رتشيلد تكلمهُ فيجيبك بمسائل يطرحها عليك الواحدة بعد الاخرى حتى يأخذ منك اكثر مما يعطيك ولكن لا يراهُ ولا يكلمهُ الاَّ من لهُ معهُ شغل هام وهو اول لورد اسرائيلي دخل مجلس الاعيان وكان قبل دخولهِ مجلس الاعيان نائباً حرًّا في مجلس النواب عشرين سنة

وامام المكتب الثاني نيو بلد رتشيلد اخو لورد رتشيلد وهو انيس المحضر مغرم بتربية الخيل وزوجتهُ ابنة اشيل برجيا احد اغنياء النمسا . وامام المكتب الثالث اخوهُ الثالث الفرد رتشيلد وهو من رجال العلم لا من رجال المال لكن عندهُ من المال ما يغني نصف رجال العلم

والاخوة الثلاثة شيوخ فان اصغرهم وهو نيو بلد ولد سنة ١٨٤٥ فعمرهُ الآن ٦٦ سنة . ويقال ان الذي يخلفهم في انكلترا هو نثانيل ثشارلس الابن الثاني من اولاد لورد رتشيلد وعمرهُ الآن ٣٤ سنة وهو من رجال المال ومن رجال العلم ايضاً ولهُ مقالات عديدة في علم الحشرات . واخوهُ الاكبر لا يهتم الاَّ بالامور العلمية ولاسيما علم الحيوان وقد الَّف كتباً في هذا الموضوع

فاذا كان اولاد هذا البيت كلهم او اكثرهم ينقطعون للباحث العلمية ويخدمون العلم بمالهم ويجرون في انفاقهِ على سنة العلماء اي لا ينفقون منهُ جزافاً بقيت ثروة البيت الى ما شاء الله واستفاد نوع الانسان منهُ فوائد لا تقدَّر وهذا احسن مستقبل نتمناهُ لهُ

البرتغال وجمهوريتها

قيام الجمهورية في البرتغال سرَّ قوماً وساء آخرين حتى من غير سكان تلك البلاد . سرَّ الذين يقولون ان الناس متساوون في الحقوق وانهُ ليس لاحد سلطة مشروعة على آخر الاَّ اذا اراد هذا ان يتسلط الاول عليهِ باختيارهِ . فاذا اتفقت امة على تولية شرٍّ ونها بعض افرادها صار لاولئك الافراد سلطة مستمدة من الشعب . وهذا يقضي بان تكون الحكومات كلها نيابية وان تكون ايضاً جمهورية او ملكية مبنية على مبايعة الشعب . ولا سلطة مشروعة بغير ذلك . فالبرتغال عادت الى الحكومة الطبيعية الصالحة للامم الراقية وستسعد بحكومتها . ولكن ساء عمأها الذين يقولون ان السيادة حق موروث مهما كان اصلها وان على الناس ان يخضعوا لمن حكمهم سواء كان اولئك الملوك برره او فجرة ولذلك سيأول انقلاب الحكومة في البرتغال الى خرابها

الاَّ ان الباحث في احوال البشر يرى ان سعادتهم وشقاءهم غير مرتبطين بنوع حكومتهم فقد تكون الحكومة ملكية استبدادية ولا تضر بالشعب بل يرتقي في عهدها . وقد تكون جمهورية نيابية ولا يرتقي الشعب في عهدها بل يحط . فان للارتقاء اسباباً كثيرة والحكومة سبب منها لا كلها . والغالب ان الحكومة التي تستمرُّ في بلاد هي الحكومة الصالحة لتلك البلاد او كما تكونوا يولَّى عليكم . فاذا اقنا لشعب حكومة منحطة عنهُ رقأها الى ان تصل الى مستواهُ واذا اقنا لهُ حكومة مرتقية عنهُ انحطت رويداً رويداً الى ان تدانيهُ . والحكومة والامة تتفاعلان الى ان تصيرا على مستوى واحد اما بارتقاء الواحدة واما بانحطاط الاخرى

وقد قرأنا لبعضهم حديثاً جرى بينهُ وبين وزير الخارجية في بلاد البرتغال يشفُّ عن آراء الحكومة الحاضرة وآمالها فلخصناهُ في ما يلي . قال الكاتب :—

مشيت نصف الليل في الشارع المؤدي الى دار نظارة الخارجية لاقابل ناظرها السنيور برناديتو مشادو وكنت قد طلبت منهُ ان يسمح لي بمقابلتهِ ومحادثتهِ فسمح وعيَّن تلك الساعة مشيت فرأيت الشوارع خالية من المارة لم اجد فيها الاَّ اثنين من رجال الحرس يسيران